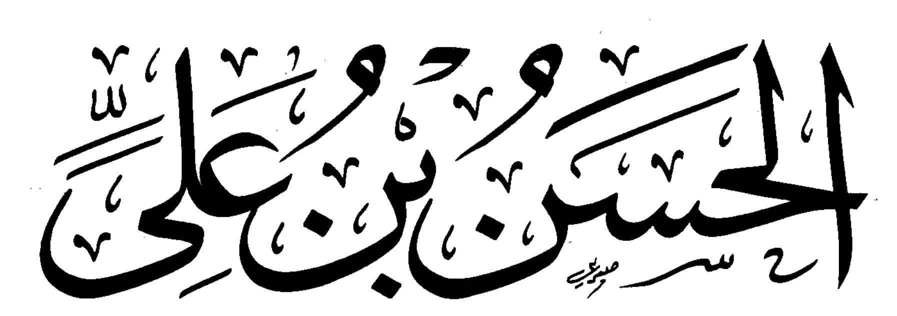
أطفال حول الرسول صلى الله عليه وسلم

(٥)



الحسن بن علي

سبط النبي صلى الله عليه وسلم وريحانته

إبراهيم محمد حسن الجمل

دار الفضيلة



مَنْ هُوَ ..؟

هو أمير المؤمنين الإمام أبو مُحَمَّد الحسَن بن علىّ ابن أبى طالب بن عبد المطلب الهاشمى سبْط رسول الله ﷺ ابن ابنته فاطمة الزَّهْرَاء (رضى الله عنها) ، خامس الخلفاء الراشدين (رضى الله عنهم أجمعين) .

لقد كان له أثر واضح فى مجريات الحوادث فى تاريخنا الإسلامى بما تحلى به من خُلُق وفضل وعلم ، أصلح الله به بين طائفتين متنازعتين ، فحفظ دماء المسلمين .

وأصل « الحسن » (رضى الله عنه) وشجرته التى ينتسب إليها ، والتى كان لها أكبر الأثر فى حياته ، وما قام به من أعمال ، هو انتسابه إلى العظماء من بنى هاشم من جهة الأَب ومن جهة الأُم ، ولا نقول إلَّا بما قاله عُلَماء الاجتماع والنَّفس .

إِنَّ العُظماء والموهُوبين عادة يكون نسلهم عُظَماء ، وقد تحقّق ذلك فى شخصية الحسن (رضى الله عنه) ، وما امتاز به من ذكاء وتكوين ، فذلك يرجع فى الغالب إلى عوامل وراثية وبيئية ، كان للحسن (رضى الله عنه) نصيب وافر منها فى تكوينه وموهبته وإظهار شخصيته ، ومن أصله الذى تأثر به الوالدان : الأَبّ والأُمّ .

★ ★ ★

مَنْ هُوَ أَبُو الحَسَن ؟

إِنَّهُ الإمام علىّ بن أبى طالب (رضى الله عنه) الهاشمىّ ، شبّ الإمام علىّ (رضى الله عنه) ونشأ فى بيت النُّبوّة ، بيت السَّيدَة خديجة (رضى الله عنها) ، وابن عمّه مُحَمَّد بن عبد الله ﷺ ، فكان أوّل من أَسْلَم من الصّبيان ، فتعلّم من رسول الله ﷺ الشىء الكثير ، وعلىّ هو الذى عَرّض نفسه للموت ليلة الهجْرَة ، والكفّار يحيطون بالبيت ، مضحيًا بنفسه فداء لرسول الله ﷺ ، ثم هاجر إلى المدينة ، وحضر الغَزَوَات مع رسول الله ﷺ إلَّا غَزْوَة (تَبُوك) فقد خلّفه رسول الله ﷺ على المدينة ، فبكى علىّ (رضى الله عنه) وقال : « يا رسول الله تُخَلِّفُنِى على النساء والصِّبيان » لأنه كان يشتاق للجهاد فى سبيل الله ، فطيّب خاطره رسول الله ﷺ ، وقال له : « أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ منّى بمنزلة هارُون من مُوسَى إِلَّا أَنهُ لا نَبىّ بَعْدى ! » (١) .

★ ★ ★

وفى (خَيْبر) قال رسول الله ﷺ : « لَأُعْطِين الرَّايَةَ غَداً رَجُلًا يُحِبُّ الله ورسُولَه ، وَيُحِبُّه اللهُ وَرَسُولُه » .

---

(١) البخارى (٤٢/٥) .

فتطاول إليها الصحابة حتى قال عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) : « مَا أَحْبَبْتُ الإِمَارَةَ إِلَّا ذَلِكَ اليَوْم » .

فقال ﷺ : « ادْعُوا لِىَ عَلِيًّا »[1] فأَتاه ... ودفع ﷺ الرَّايَة إليه ، ففتح الله عليه ، وكان النَّصر على يديه .

★ ★ ★

كان علىّ (رضى الله عنه) ذا مكانة كبيرة من العلْم ، ويكفى أن يكون عبد الله بن عباس (رضى الله عنهما) حَبْر الأُمَّة ، وتُرجمان القرآن تلميذاً له ، فقال حينما سُئل (رضى الله عنه) : أَينَ علْمُكَ من علم ابن عمّك علىّ بن أبى طالب ؟

قال (رضى الله عنه) : « كنسْبَة قَطْرَة من المطَر إلى البَحْر المُحيط » .

اجتمعت فى ابن أبى طالب (رضى الله عنه) صفات بنى هاشم التى اشتهروا بها مثل : الشَّجاعَة ، والكَرَم ، والوَفَاء ، والمروءة ، والذّكاء ، والترفّع عن الدَّنايا ؛ ذلك إلى القُوَّة الجسَديّة التى تميّز بها علىّ وأبناؤه (رضى الله عنهم) .

كان يمسك بذراع الرَّجل فكأنهُ أمسك بِنَفَسِه ، فلا يستطيع أن يتنفَّس ، واشتهر عنه أنهُ لم يُصَارِع أحداً إلّا صَرعهُ .

لقد تَعَجَّب الصحابة (رضى الله عنهم) من أنهُ رَفَعَ باب الحصْن فى (خيبر) بيد واحدة ، وقد شقّ على عشرات

---

(١) أحمد (٥/٣٥٨) .



منهم أن يَرفعُوه جماعة ، فكلّموه فى ذلك ، فابتسم وقال : « إِنَّمَا هُوَ عَوْن الله - سبحانه - ومَدَده » .

★ ★ ★

ظل وفيًا لربِّه ولدينه حتى تُوفى رسول الله ﷺ ، وجاء عهد الخلفاء الراشدين : أبى بكر ، وعمر ، وعثمان (رضى الله عنهم) ، فكان ملتزماً بالدَّعوة إلى الله - عَزَّ وجَلَّ - إلى أن تولى الخلافَة ... فكان رابع الخلفاء الراشدين ، وإلى أن استُشْهد فكانَ عنواناً على الوفَاء والرِّضا بقضاء الله تعالى .

مَنْ هِىَ أُمّه (رَضِىَ اللَّهُ عَنهُمَا) ؟

أُمُّهُ السَّيدَة فاطمة الزَّهْرَاء (رضى الله عنها) بنت رسول الله مُحَمَّد ﷺ ، وأُمّها السَّيدَة خديجة بنت خويلد (رضى الله عنها) .

وُلدَتْ (الزَّهْراء) فى مكَّة والعرب تبنى الكعبة ، والرسول ﷺ فى الخامسة والثلاثين من العُمْر ، فاحتضنتها أُمُّها السَّيدة خديجة بنت خويلد (رضى الله عنها) ، ورعاها أبوها محمد بن عبد الله ﷺ ، فلما جاءت الرِّسالة كانت فاطمة (رضى الله عنها) الصَّغيرة من أوائل الصِّديقين المؤمنين بما جاء به والدها ﷺ .

فتحت عينيها على وجود علىّ بن أبى طالب ، وهو

فى صغره فى البيت معها ، فقد ضمّه ابن عمّه إليه تخفيفاً عن أبيه أبى طالب .

★ ★ ★

كان المشركون يتعرَّضون بالإيذاء لرسول الله ﷺ ، فكانت فاطمة (رضى الله عنها) تمشى خلفه وهو ذاهب إلى الكعبة بعيدة عنه ، وقد ترد على من يتناول أباها بالإيذاء بالكلمة ، لذلك فقد فاق حُبّ أبيها لها كل حُبّ عَبّر عنه فيما بعد ، فقد قال ﷺ وهو على المنبر : « فاطمةُ بضعة مِنّى ، يُريبُنى ما رابها ويُؤذينى ما يُؤذيها » (١) .

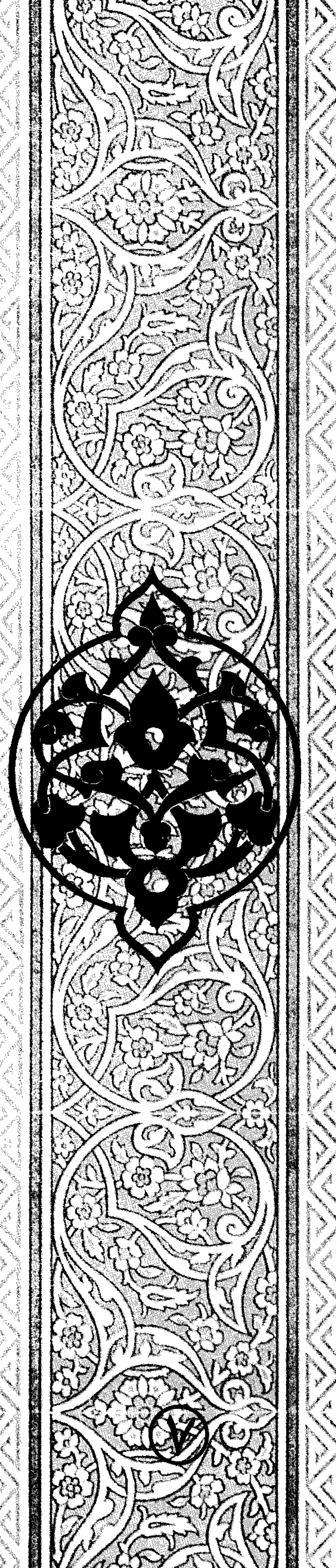
وقال ﷺ لها مرّة : « إنَّ اللهَ يَرْضَى لِرِضَاكِ ، وَيَغْضَبُ لِغَضَبِكِ » (٢) .

وكان رسول الله ﷺ إذا قدم من سَفَر ، بدأ بالمسجد ، فصلَّى ركعتين ، ثم ثنى ببيت فاطمة (رضى الله عنها) ، وكان يأتى إلى باب دارها ويقول : « السَّلامُ عَليكُم أَهْل البَيت ... الصَّلاَة الصَّلاَة : ﴿ ... **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾ (٣) .

كل هذا وغيره كان له أكبر الأثر فى حياة الحسن (رضى الله عنه) لِمَا تمتاز به من خُلُق ودين أحبها الرسول ﷺ من أجله ، وأثر فى أبنائها وبخاصة ابنيها الحسن والحسين (رضى الله عنهما) .

---

(١) أخرجه البخارى (٥/٢٦) . (٢) الجوامع (٥٢٥٨) .
(٣) سورة الأحزاب ، الآية (٣٣) .



خِطْبَةُ عَلىّ لفَاطمَة
(رَضِى اللَّهُ عَنهُمَا)

كانت المدينة المنوّرة تعيش أسْعد أيامها ، فقد رجع رسول الله ﷺ والمسلمون من غَزْوَة (بَدْر الكبرى) ، وقد مَنّ الله سبحانه وتعالى بالنَّصر على الأعداء فتحقق ماوعد الله به للرسول ﷺ والمسلمين ، وانْهزَم المشركون ، ورجعوا إلى مكة مقهورين .

فى غَمْرة من السَّعادة والفَرَح ، دخل علىّ بن أبى طالب (رضى الله عنه) على رسول الله ﷺ ، وأراد أن يقول شيئاً لابن عمّه ، لكن الحياء غلب عليه وهو البطل فى الحُرُوب ، والشُّجاع فى القتال .

نظر رسول الله ﷺ إلى علىّ (رضى الله عنه) نظرة إشْفَاق ومَودَّة ، وقد ابتسم له ، ثم قال : « ما وراءك يا ابن أبى طالب ؟ وبشىء من الصَّرَاحَة ، أراد الرسول ﷺ أن يُكاشفه بما فى نفسه ، فقال له : لعلّك جئْت تخْطب فاطمة ؟

قال علىّ (رضى الله عنه) : (نعم يا رسول الله ، جئت أخطب فاطمة) !

فقال رسول اللّه ﷺ : فَأَينَ درعك الحُطَميَّة ؟

قال علىّ (رضى الله عنه) : هى عندى يارسول الله !

فقال رسول الله ﷺ : أعطها إياه »[1] .

وكانت هذه الدِّرع هى مهر فاطمة (رضى الله عنها) .

★ ★ ★

وَتَمَّت الخِطْبَة

دخل رسول الله ﷺ على (الزَّهْرَاء) ، فأَسرَّ إليها القول ولكن الحياء منعها أن تقول ... ، فسكتت ، وكان السكوت علامة الرِّضا ... ثم قالت (رضى الله عنها) وقد تفتحت أسارير وجهها : رضيت بما رضى الله سبحانه ورسوله ﷺ عنه .

★ ★ ★

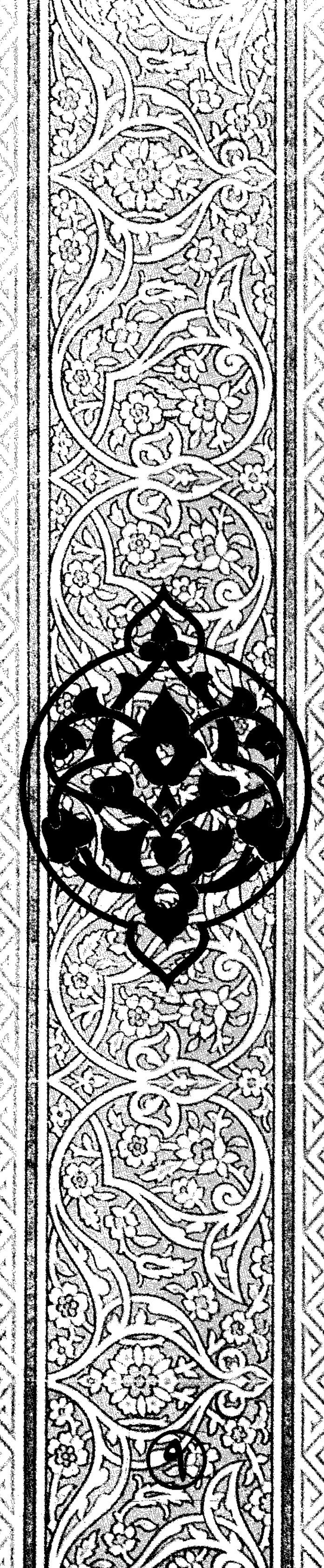
اجتمع النّاس فى المسجد ، وهنأ بعضهم البعض لخطبة علىّ لفاطمة (رضى الله عنهما) ، وهم فى فَرح وسُرور ، وأُقيمَتْ المَوَائد ، وضُربَتْ الدّفُوف ، واستعدّت العَرُوس لتذهب إلى بيت الزوجية ، ولتبدأ حياة جديدة ، وفرح علىّ (رضى الله عنه) بما وفَّقه الله - عَزَّ وَجَلَّ - له ، وقد دعا الرسول ﷺ له ولفاطمة (رضى الله عنهما) ، فقال : « اللَّهُمَّ بَارك فيهما ، وبَارك لهُمَا فى شَمْلهما »[2] .

★ ★ ★

---

(١) رواه النسائى (١٢٩/٦ ، ١٣٠) .

(٢) دلائل النبوة (١٥٣/٦) .



فِى بَيْت الزَّوْجيَّة

أعدّ علىّ بن أبى طالب (رضى الله عنه) بيت الزَّوجية ، فكان مُشْتملاً على : قِربَة لشُرب الماء والوضُوء والغُسْل ، ووسادَة من جلْد حشوها ليف ، وفراش من جلْد كَبْش للنّوم باللَّيل ، وللجلُوس عليه بالنَّهار ، وما تعلف عليه الدَّابة التى تحمل عليها الماء من البِئْر ، وإناء للطَّبخ ، وما لها خادم غيرها .

★ ★ ★

وجاءت ليلة الزّفاف .

وقال البعض : لا بد للعُرْس من وليمَة .

فقال سعد (رضى الله عنه) : عندى كبش ، وجمع له رهط من الأنصار آصاعاً (أكيالًا) من ذُرَة ... فأكل كل من اجتمع من الصحابة ، وحضر الليلة .

وعن ذلك قال جابر (رضى الله عنه) : حضرنا عُرْس علىّ وفاطمة (رضى الله عنهما) ، فما رأيت عُرْساً كان أطيب منه ، حشونا البيت طيباً ، وأتينا بتَمرٍ وزبيب فأكلنا .

★ ★ ★

ذهبتْ فاطمة (رضى الله عنها) إلى بيتها ، وأرسل رسول الله ﷺ إلى علىّ (رضى الله عنه) : « لَا تَقْرب امرأتك حتى آتيك » .

فجاء رسول الله ﷺ ، ودعا بماء ، ووضع يده فيه ، وقال ما شاء أن يقول ، ثم نضح منه على وجه عليّ ، ثمّ دعا فاطمة فقامت إليه تتعثر فى ثوبها من الحياء ، فنضح عليها الماء ، وقال : « إنِّى لم آل جهداً أن أنكحك أحبّ أهلى إلىّ » .

رأى رسول الله ﷺ سواداً وراء الباب ، فقال : « من هذا » ؟

قالت : أسماء .

قال ﷺ : « أسماء بنت عُمَيْس » ؟

قالت : نعم .

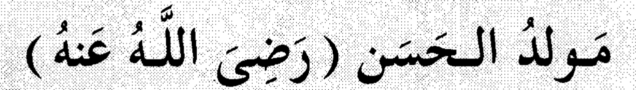
قال ﷺ : « أَمَعَ رَسُولِ اللهِ جِئْتِ كرامة لرسول الله » ؟

قالت : نعم .

تقول أسماء : فدعا لى دُعاءً إنه لأوثق عملى عنده ، ثم خرج ، وقال ﷺ لعلىّ (رضى الله عنه) : « دونك أهلك » [1] ، وما زال يدعو لهما حتى دخل حجرته .

★ ★ ★

(١) طبقات ابن سعد (١٤/٨)



مَولدُ الحَسَن (رَضِىَ اللَّهُ عَنهُ)

حملتْ فاطمة (رضى الله عنها) ، وكانت أُمّ الفَضل امرأة العبّاس بن عبد المطلب (رضى الله عنهما) تتابع السَّيدة فاطمة (رضى الله عنها) وحملها ، وتودّ أن تحمل كل المتاعب عنها ، وقد رأت فى منامها ما قصته على رسول الله ﷺ ، قالت : « يا رسول الله ! رأيت كأن عضواً من أعضائك فى بيتى » .

فقال ﷺ : « تَلِدُ فاطمة غُلَاماً فَترْضِعِينَهُ بِلَبَنِ - ابنك - قُثْم »[1] .

★ ★ ★

فرحت أُمّ الفضل بتفسير الرّؤيا فرحاً شديداً ، فقد كانت تظنّ غير ما توقعت ، واطمأنت أكثر حينما رأت رسول الله ﷺ ، قد سُرّ واستبشر بهذه الرّؤيا ، وأخبرت أُمّ الفَضل (الزَّهْرَاء) وابن أبى طالب (رضى الله عنهم) بما رأت وبما فسَّر لها رسول الله ﷺ ، واعتبر الجميع أن هذا فضل من الله - عَزَّ وَجَلَّ - ، ونعمة منه .

وراحوا ينتظرون الساعة التى يتم فيها انتهاء أشهر الحمل .

★ ★ ★



(١) أخرجه ابن ماجه (٣٩٢٣) .

حضر الأقربون إلى بيت فاطمة وعليّ (رضى الله عنهما)، وحضرت أسْمَاء بنت عُمَيْس، وأُمّ سلمة زوج النَّبىّ ﷺ، وأُمّ الفَضل، وأُمّ أَيمن (رضى الله عنهم)، وعلم النَّبىّ ﷺ فأتى مُسرعاً ولسانه يلهج بالدعاء وباركه، وأمرهم أن يبدلوا خرقته الصّفراء التى لفّوهُ بها بخرقة بيضاء، ثم استلمه بين يديه وأَذّن فى أُذُنِهِ اليُمْنى، وأقام فى أُذُنِهِ الأُخرى.

★ ★ ★

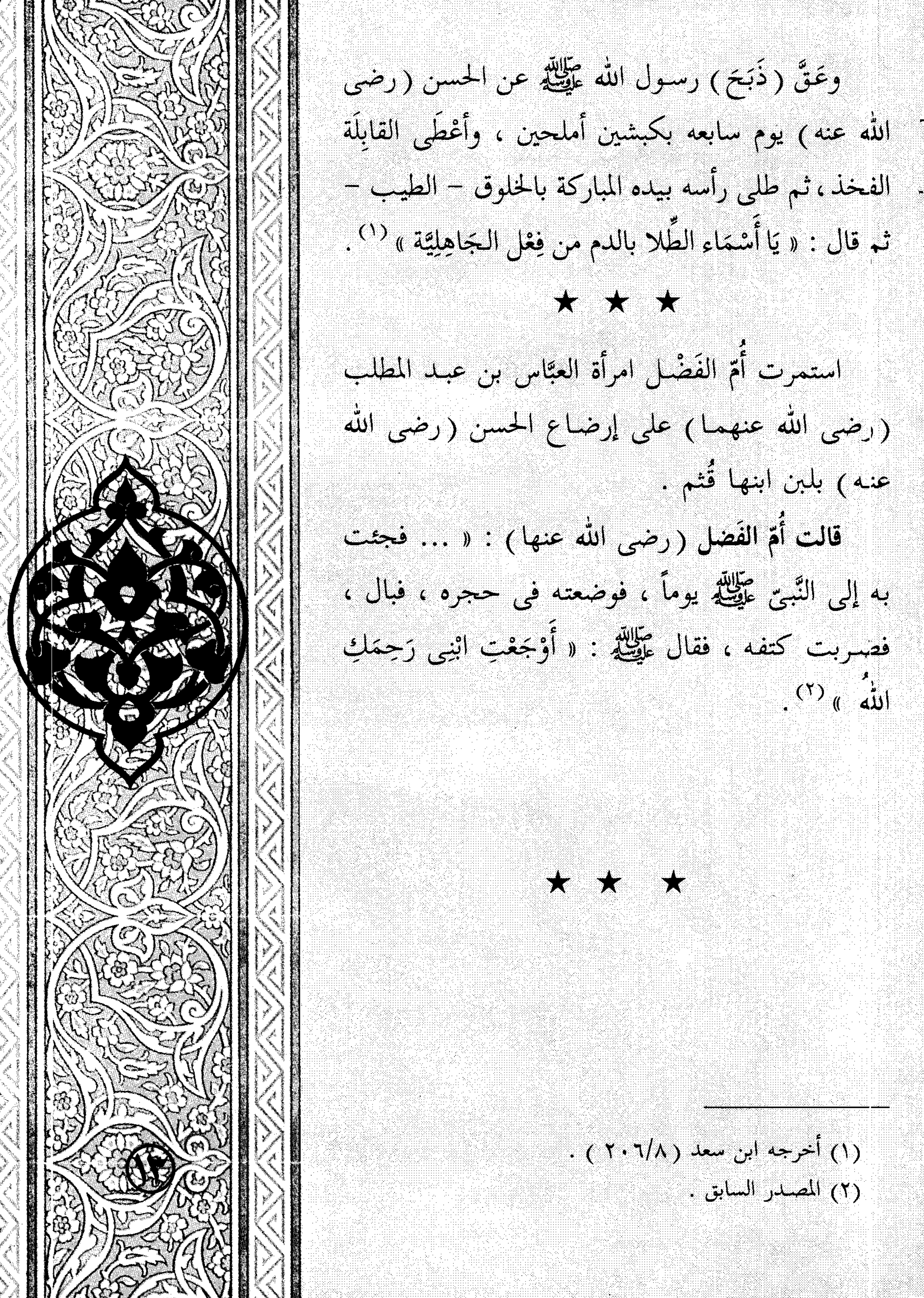
كان علىّ (رضى الله عنه) يتخيّل ابنه هذا فارساً من فرسان المسلمين يُجاهد فى سبيل الله، وهو صاحب كرّ وفرّ فى المعارك، شُجاع، مقْدام، بَطَل، صاحب فتوة وعزيمة لا تُقْهَر، فرغبَ فى أن يُسمِّيه (حرباً)، فلما سأله جدّه: « هَلْ سَمَّيْتَ المَوْلُود »؟

قال علىّ (رضى الله عنه): نعم ... سنسميه (حرباً).

قال ﷺ: « لَا ... بَلْ هُوَ (حَسَن) »، ولم يكن هذا الاسم معروفاً عند العرب.

وأمر ﷺ أن تُحْلَقَ رَأْسُهُ، ويُتَصدق بِزِنَةِ شَعْرِهِ فِضَّة ».

وأرادت أُمّه أن تَعِقَّ (تذبح) عنه بكبشين، فقال ﷺ: « يَا فَاطِمَة احْلِقِى رَأْسهُ وَتَصَدَّقِى بِزِنَةِ شَعْرِهِ فِضَّة ».



وعَقَّ (ذَبَحَ) رسول الله ﷺ عن الحسن (رضى الله عنه) يوم سابعه بكبشين أملحين ، وأعْطَى القابِلَة الفخذ ، ثم طلى رأسه بيده المباركة بالخلوق - الطيب - ثم قال : « يَا أَسْمَاء الطِّلا بالدم من فِعْل الجَاهِلِيَّة » (١) .

★ ★ ★

استمرت أُمّ الفَضْل امرأة العبَّاس بن عبد المطلب (رضى الله عنهما) على إرضاع الحسن (رضى الله عنه) بلبن ابنها قُثم .

قالت أُمّ الفَضل (رضى الله عنها) : « ... فجئت به إلى النَّبىّ ﷺ يوماً ، فوضعته فى حجره ، فبال ، فضربت كتفه ، فقال ﷺ : « أَوْجَعْتِ ابْنِى رَحِمَكِ اللهُ » (٢) .

★ ★ ★

---

(١) أخرجه ابن سعد (٢٠٦/٨) .
(٢) المصدر السابق .

الحَسَنُ مَعَ جدّه ﷺ

قال أبو هريرة (رضى الله عنه) : ما رأيت الحسن ابن علىّ (رضى الله عنهما) إلّا فاضَتْ عيناى دموعاً ، وذلك أن رسول الله ﷺ خرج يوماً وأنا فى المسجد ، فأخذ بيدى ، واتكأ علىّ حتى جئنا سوق (قينقاع) ، فنظر فيه ، ثم رجع ورجعت معه ، حتى جلس فى المسجد ، ثم قال : « ادعو إلى ابنى » .

فأتى بالحسن بن علىّ (رضى الله عنهما) يشتدّ حتى وقع فى حجره ، ثم جعل يعمل بيده هكذا فى لحية رسول الله ﷺ ، يفتح فمه ، ثم يدخل فمه فى فمه ﷺ والرسول ﷺ يقول : « اللَّهُمَّ إِنِّى أُحِبُّه ، وأُحِبُّ مَنْ يُحِبُّه » [1] مرات عديدة .

★ ★ ★

وعن أبى بكرة (رضى الله عنه) قال : كان رسول الله ﷺ يُصَلِّى بنا ، وكان الحسن (رضى الله عنه) يجىء وهو صغير ، فكان كلما سجد وثب على رقبته وظهره ، فيرفع النَّبىّ ﷺ رأسه رفعاً رقيقاً حتى يضعه ، فقالوا : يا رسول الله ! رأيناك تصنع بهذا الغلام شيئاً ما رأيناك تصنعه بأحد ؟ قال : « إِنَّهُ رَيْحَانَتِى مِنَ الدُّنْيَا ،

---

(١) أخرجه البخارى (٥/٣٣) .

وإن ابْنِى هَذَا سَيِّد ، وعَسَىٰ أَنْ يُصْلِحَ الله به بين فئتين من المسلمين »[1] .

★ ★ ★

قال عبد الله بن الزبير (رضى الله عنهما) : رأيت الحسن بن علىّ (رضى الله عنهما) يأتى النَّبىّ ﷺ ، وهو ساجد ، فيركب على ظهره ، فما ينزله حتى يكون هو الذى ينزل ، ويأتى وهو راكع ، فيفرج له رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر .

★ ★ ★

وعن عبد الله بن عباس (رضى الله عنهما) قال : كان النَّبىّ ﷺ حاملًا الحسن (رضى الله عنه) على عاتقه ، فقال رجل : نعم المركب ركبت يا غلام .
فقال ﷺ : « نعم الراكب هو »[2] .

★ ★ ★

كان يقال لكل من الحسن والحسين (رضى الله عنهما) : يا ابن المصطفى ﷺ ، وكانا (رضوان الله عليهما) يعتزان بأبوته ﷺ ، ويهتفان ، فيقول كل منهما له ﷺ : « يا أبت » .

فإذا هتف الحسن بأبيه علىّ قال له : يا أبا الحسين ، وإذا هتف الحسين بأبيه علىّ قال له : يا أبا الحسن (رضى الله عنهم) .

---

(١) أخرجه أحمد (٥/٥١) .
(٢) انظر : « مجمع الزوائد » (٩/١٨٢) .

فلما انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، كانا يقولان لأبيهما : (يا أبت) .

★ ★ ★

ورغم صغر الحسن (رضى الله عنه) فقد سَمِعَ الحديث من رسول الله ﷺ .

قال الحسن (رضى الله عنه) : علَّمنى رسول الله ﷺ كلمات أقولهن فى صلاة الوتر (القنوت) .

وقال أبو الحوراء : قلت للحسن (رضى الله عنه) : ما تذكر من رسول الله ﷺ ؟

قال الحسن (رضى الله عنه) : أَخَذْتُ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَاتِ ، فَتَرَكْتُها فِى فَمِى ، فَنَزَعَها منِّى ﷺ .

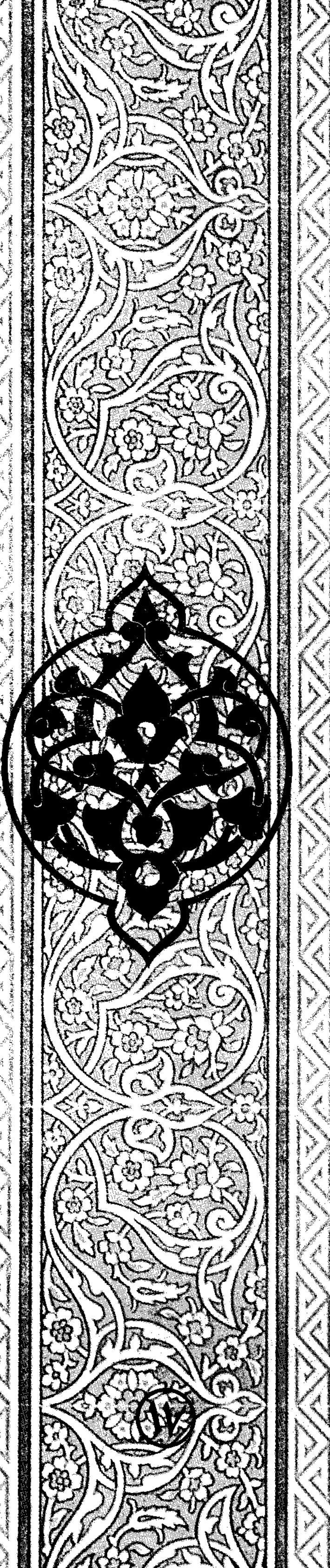
ومن رعايته ﷺ أنه كان يخطب إذ الحسن والحسين (رضى الله عنهما) يمشيان بين الناس ، ويتعثران ، فنزل من على المنبر ووضعهما بين يديه وقرأ الآية الكريمة :

﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ... ﴾ (١) .

★ ★ ★

---

(١) سورة التغابن ، الآية (١٥) .



مكَانَةُ الـحَسَن (رَضِىَ اللَّـهُ عَنـهُ) عنـدَ الصَّحَابَة

كان للحسن (رضى الله عنه) مكانة خاصة عند أجلَّاء الصّحابة ؛ لأنه رضوان الله سبحانه وتعالى عليه ، كان يُحبُّه رسول الله ﷺ .

كان الحسن بن علىّ (رضى الله عنهما) يُشبه جدّه لذلك فقد كانت أنظار الصّحابة تتجه إليه ، لتُمْعِن فيه النَّظر ، وقد يطيلون النظر ثم يبكون ، متذكِّرين قُوّة الشَّبه بينهُ وبين جدّه ﷺ .

قال علىّ بن أبى طالب (رضى الله عنه) : الحسن أشبه برسول الله ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس .

وخرج أبو بكر (رضى الله عنه) من صلاة العصر بعد وفاة النَّبىّ ﷺ وعلىٌّ (رضى الله عنه) يمشى إلى جانبه ، فمرّ الحسن (رضى الله عنه) يلعب مع الغلمان ، فاحتمله أبو بكر (رضى الله عنه) على رقبته وهو يقول :

بأبى شبيه بالنَّبىّ   ليسَ شَبِيهاً بعلىّ

وعلىّ بن أبى طالب (رضى الله عنه) يضحك .

★ ★ ★

فرض أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) للحسن (رضى الله عنه) مثل فريضة أهل بَدْر .

وروى ابن الجوزى قال : أدخل عمر (رضى الله عنه) فى أهل بدر مِمَّن لم يحضروا بدراً أربعة ، الحسن والحسين وأبا ذر وسلمان الفارسى (رضى الله عنهم) ، لكل واحد خمسة آلاف .

وقال أمير المؤمنين (رضى الله عنه) لقومه من بنى عدى : والله ما أدركنا الفضل فى الدنيا إلَّا بمحمد ﷺ ، ولا نرجوا ما نرجوا من الآخرة وثوابها إلَّا بمحمد ﷺ ، فهو شرفنا ، وقومه شرف العرب ، ثم الأقرب فالأقرب .

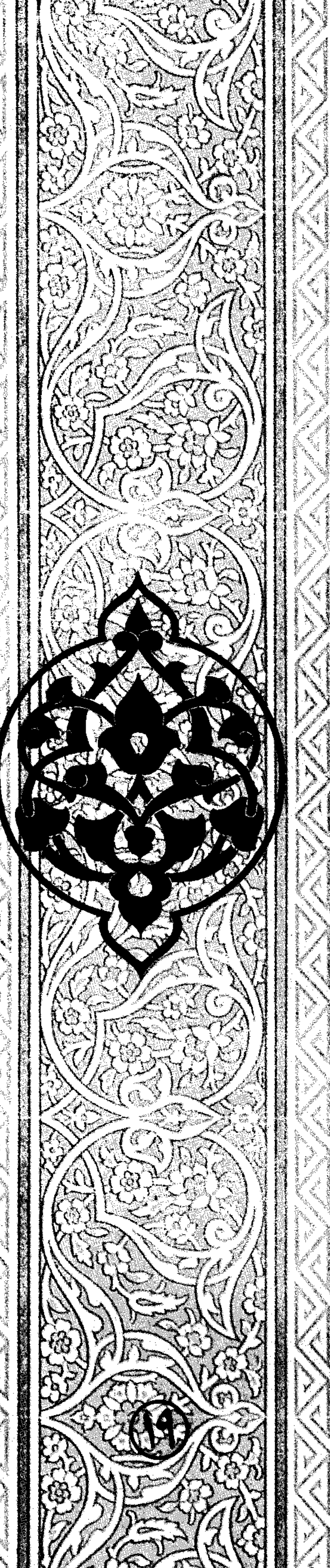
★ ★ ★

ولما جاء الخليفة عثمان (رضى الله عنه) كان الحسن (رضى الله عنه) قد جاوز الخمسة عشرة سنة ، وكان قد تدرب على القتال والضرب بالسّيف والرَّمى ، وأصبح على استعداد للمشاركة فى الجهاد والقتال فى سبيل الله - عَزَّ وَجَلَّ - .

ولما طلب عبد الله بن أبى سراج النَّجدة من الخليفة عثمان (رضى الله عنه) وهو ينشر الإسلام فى شمال إفريقية أرسل إليه عبد الله بن الزبير (رضى الله عنهما) فى جيش من المدينة اشترك الحسن بن علىّ (رضى الله عنهما) فيه ، وظلّ فى القتال حتى نَصَرهُم الله ، وعادوا إلى المدينة يحملُون أنباء النّصر .

ثم كان مع الجيش الذى ذهب لفتح (طبرستان) ، حتى تم فتحها وانتشر الإسلام بها ، ثم رجع إلى المدينة .



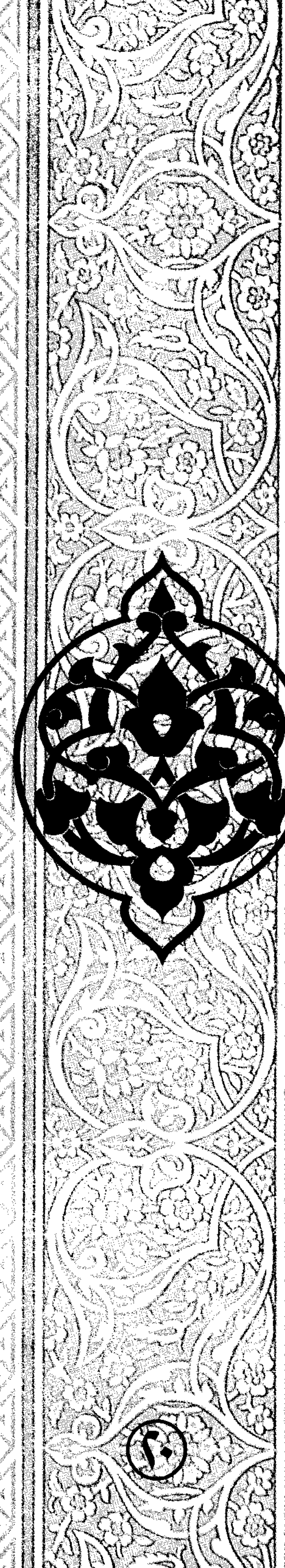


ولما ساءت الأحوال ببعض البلاد التى كانت تحكم بولاة قساة من قِبَلِ الخليفة عثمان (رضى الله عنه) ، تمرّد بعض المسلمين فى مصر والعراق ، وحَمَّلُوا عثمان (رضى الله عنه) مسئولية اختيار هؤُلاءِ الولاة ، وأتوا إليه فى المدينة وحاصروا داره كان الحسن (رضى الله عنه) أحد أبناء الصّحابة الذين دافعوا عنه ، ولكن الأُمور تَطوّرَت من سيئ إلى أسوأ ، وانتهى الأمر بقتل الخليفة عثمان (رضى الله عنه) ، واختيار علىّ بن أبى طالب (رضى الله عنه) للخلافة ، فكان الخليفة الرابع .

★ ★ ★

تولى الإمام علىّ بن أبى طالب (رضى الله عنه) الخلافة فى جوّ مشحون بالتّوتر والطَّمَع فى الاستيلاء على الحكم ، فكان لا بد للخليفة علىّ بن أبى طالب (رضى الله عنه) أن يخوض المعارك ، فوقفَ الحسَن بن علىّ (رضى الله عنهما) مع أبيه يَخُوض المعارك ، حتى كاد أن يَنْتصر الخليفة على الذين يُحَاربونهُ ، ولكن حدث ما لم يكن فى الحُسْبان ، فقد أقدم أحد الجبناء على قَتْل الإمام والخليفة علىّ بن أبى طالب (رضى الله عنه) واسمه عبد الرحمن بن ملجم ، قَتَلهُ بسيفٍ مَسْمُوم ، فمات من ساعته ، وخلت الخلافة من بعده .

★ ★ ★

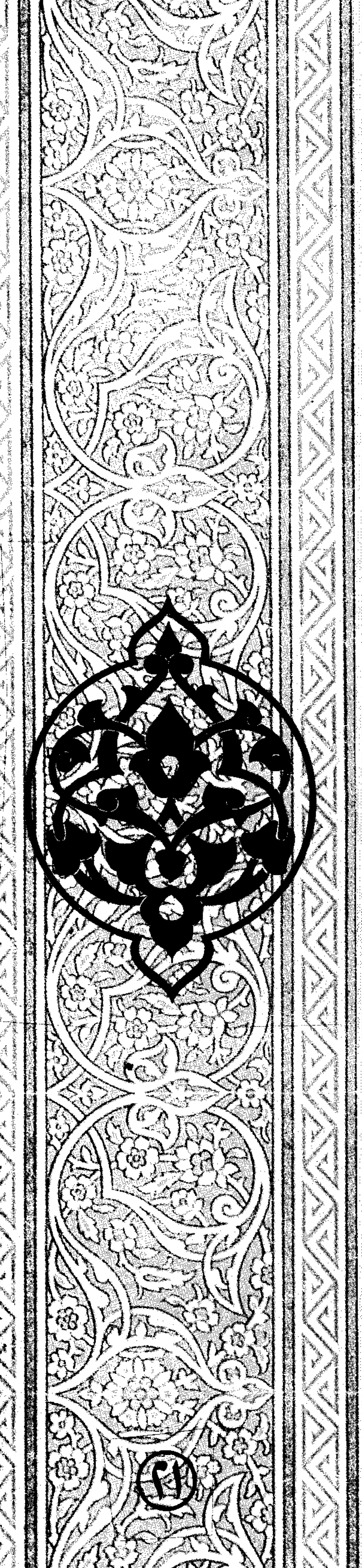


تَولّى الـحَسَنُ (رَضِىَ اللَّـهُ عَنهُ) الْـخـلاَفَـة

لَمَّا دَفَن النّاس الإمام علىّ بن أبى طالب (رضى الله عنه) ، رابع الخلفاء الراشدين وكان بالكُوفَة ، اتجهَتْ أنظَارهُم إلى ابنه الحسن (رضى الله عنه) ، ورجوا أن يجتمع المسلمون عليه ، فيجمع كلمتهم ، وتتوحد صفُوفهم .

اجتمع كبار القوم يفكرون فى هذا الأمر ، ولم يطلْ بهم التَّفكير ، فقد كفاهُم عبد الله بن عباس (رضى الله عنهما) القيل والقال ، والاختلاف فى اختيار الخليفة من أولاد علىّ (رضى الله عنهم) ، فرشح الحسن (رضى الله عنه) للخلافة ، فهو أكبر أولاد علىّ (رضى الله عنهم) ، وأولاهم بالأمر لما يتميز به من خُلُق ودين .

خرج الحسن ، ومعه عبد الله بن العباس (رضى الله عنهم) ، وما كاد الناس يرون الحسن وعليه ثياب سود ، حتى اشتدوا فى البكاء ، وعلا صوتهم بالتكبير والدُّعاء والتَّرحُّم على الإمام علىّ (رضى الله عنه) ، لقد فاجأهم الحسن (رضى الله عنه) بخطبته ، فأنصتوا إليه ، حمد الله وأثنى عليه وكان ممَّا قاله : « لقد قُبض فى هذه اللَّيْلَةِ رَجُل لم يَسْبِقْهُ الأولون ، ولا يدركه الآخرون ، وقد كان رسول الله ﷺ يعطيه رايته فيقاتل ... فما يرجع حتى يفتح الله عليه ... ولم يتركْ على ظهر الأرض صفراء



ولا بيضاء (١) إلَّا سبعمائة درهم فَضَلَتْ من عطائه ، أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله ...

ثم قَال : أيها النّاس من عرفنى فقد عرفنى ، ومن لم يعرفْنِى ، فأنا الحسن بن علىّ ، وأنا ابن الوصىّ ، وأنا ابن البشير ، وأنا ابن النَّذير ، وأنا ابن الدَّاعى إلى الله بإذنه والسِّراج المنير ، وأنا من أهل البيت الذين كان جبريل - عليه السلام - ينزل فينا ويصعد من عندنا ، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرِّجْس وطَهَّرهم تطهيراً ، وأنا من البيت الذى فرض الله مودتهم على كل مسلم ، فقال الله تعالى : ﴿ ... **قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً** ... ﴾ (٢) .

وما أن أتمّ الحسن (رضى الله عنه) خُطْبته حتى بايع النّاس الحسن (رضى الله عنه) ... بَايعُوه على ما أراد على السَّمْع والطَّاعَة ، ومُحاربة من يُحَارب ... ومُسَالمة مَنْ يُسَالم ، وكان عددهم أكثر من أربعين ألفاً ، أكثرهم من أهل العراق .

وكان من خطبة له أيضاً : « ... فوالله إنى لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله منه ، وأنا أنصح خلقه لخلقه ، وما أصبحت محتملاً على مسلم ضغينة (٣) ،

---

(١) يعنى : الذهب والفضة .
(٢) سورة الشورى ، الآية (٢٣) .
(٣) كراهية وبغضاء .

ولا مريداً له بسوء ولا غائلة [1] ، ألا وإن ما تكرهون فى الجماعة خير لكم ممَّا تحبون فى الفرقة .

ألا إنى ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم ، فلا تخالفوا أمرى ، ولا تردوا عَلَىَّ رأيى ... غفر الله لى ولكم ، وأرشدنى وإياكم لما فيه محبته ورضاه إن شاء الله » .

★ ★ ★

تَنَازُل الحَسَن (رَضِىَ اللَّهُ عَنهُ) وَمُبَايَعَتهُ لِمُعَاوِيَة

ويذكر التاريخ من حقائقه أن الحسن (رضى الله عنه) قد تنازل بإرادته عن الخلافة لمعاوية بن أبى سفيان حقناً لدماء المسلمين وزهداً فيها وحرصاً على المودة والحب بين الناس .

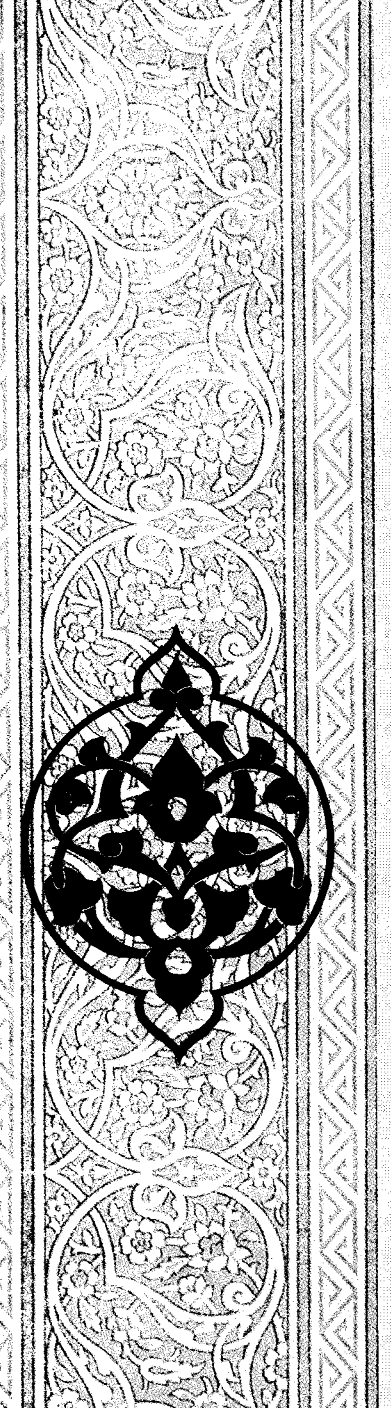
★ ★ ★

أَخْلَاقُه وَصِفَاتُه

تميّز الإمام الحسن بن علىّ (رضى الله عنهما) خامس الخلفاء الراشدين عن أقرانه بصفات لم يتميّز بها إلَّا الخاصة من العباد ، فكان آية فى الخُلُق ، فنال مكانة لا ينالها إلَّا المخلصون ، وهذه أهمّ أخلاقه وصفاته .

---

(١) أى : غلٌّ أو حقد .



الـخَـوْفُ مِنَ اللَّـه

كان شديد الخوف من الله سبحانه وتعالى ، وكان يضع هذا الخوف أمامه فى كل عمل يقوم به ، وإذا عرفت كيف كان يخاف ربه ، لم تعجبْ لتركه الخلافة فى وقت كان بعض النّاس يتقاتلون عليها للأُبَّهَة والسُلْطَان !

سمعه رجل وهو يناجى ربّه ، ويبكى ، فقال له : أتخاف عذاب الله وعندك أسباب النَّجاة ؟ فأنت ابن رسول الله ﷺ ، وأنت أهل لشفاعته ، ورحمة الله التى وسعت كل شىء .

فقال الإمام الحسن (رضى الله عنه) : أما أنى ابن رسول الله ﷺ فالله يقول : ﴿ **فَإِذَا نُفِخَ فِى الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ ...** ﴾ (1) .

وأما الشَّفَاعَة فسبحانه وتعالى يقول : ﴿ ... **مَن ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ...** ﴾ (2) .

وأما الرَّحْمَة التى وسعَتْ كُلّ شىء ، فالله يقول : ﴿ ... **فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ...** ﴾ (3) .

فكيف الأمان يا أخا العرب ؟

★ ★ ★

---

(1) سورة المؤمنون ، الآية (١٠١) .
(2) سورة البقرة ، الآية (٢٥٥) .
(3) سورة الأعراف ، الآية (١٥٦) .

عِبَادَتُه

كانْ كثير الخشُوع فى صلاته فى سَوَاد اللَّيل ، وما عَلمَ بحاجة إنسان إلَّا سارع فى قضائها له . فكان يُجاهد نفسه فى عمل كل خَير ، ويظهر ذلك فى مسارعته إلى حجّ بيت الله الحرام ، فقد حجّ أكثر من خمسة عشر حجّة على قدميه ، وتُقاد بجانبه ، وبين يديه كرائم الإبل ، وكان يقول : « إنِّى لأَسْتَحى من ربِّى عَزَّ وَجَلَّ أن ألقاه ، ولم آته ماشياً إلى بيته » .

★ ★ ★

جُودٌ وكَرَمٌ

كان لا يرد سائلًا ، ولا يقول لأحد قطّ : لا ، ولقد خرج من ماله مرتين ، وقاسم الله تعالى ثلاث مرات حتى أنه كان يعطى نعلًا ، ويمسك نعلًا .

وقد قيل له : لأى شىء نراك لا ترد سائلًا ، وإن كنت على فاقة ؟

فقال (رضى الله عنه) – كما روى – : « إنِّى لله سائل ، وفيه راغب ، وأنا أستحى أن أكون سائلًا ، وأرُدّ سائلًا ، وإنَّ الله عوَّدنى أن يفيض نعمه علىّ ، وعوّدته أن أفيض على النّاس فأخشى إن قَطَعْت العَادة أن يمنعنى العادة وأنشد يقول :

إذا ما أتانى سائل قلت مرحباً
بمن فضله فرض علىّ مُعجّل
ومن فضله فضل كل فاضل
وأفضل أيام الفتى حين يسأل

ولقد كان الحسن (رضى الله عنه) صاحب جفنة وخوان [1] ، فهو فتى من فتيان قريش .

★ ★ ★

وقارٌ وَهيبَة

كان (رضى الله عنه) ذا هيبة ووقار ، حتى لقد كان معاوية بن أبى سفيان ، وهو فى سلطانه وأُبّهته ، يهابه ويخشاه ، صرح بذلك لبعض جلسائه .

ولقد أتت أُمُّهُ فاطمة الزَّهْراء (رضى الله عنها) بابنيها الحسن والحسين (رضى الله عنهما) إلى أبيها ﷺ وهو فى مرضه الأخير الذى تُوفِّى فيه فقالت : يا رسول الله ! هذان ابناك فورثهما شيئاً .

فقال ﷺ : « أما الحسن فإن له هيبتى وسؤددى ، وأما الحسين فإن له جرأتى وجودى » [2] .

قالوا : وهذا يُفسر ما قاله ابن عباس (رضى الله عنهما) حين مات الإمام الحسن (رضى الله عنه) : « أوَّل ذُلٍّ دَخَلَ على العَرَب مَوْتُ الحَسَن » .

---

(١) ما يقدم فيه الطعام ومائدته .
(٢) انظر : « كنز العمال » (١٨٨٣٩) .

وندرك من كلمة ابن عباس (رضى الله عنهما) أى مكانة وأى هيبة كانت للحسن (رضى الله عنه) فى المجتمع ؟ وأى مهمّة يقوم بها بين النّاس ؟

★ ★ ★

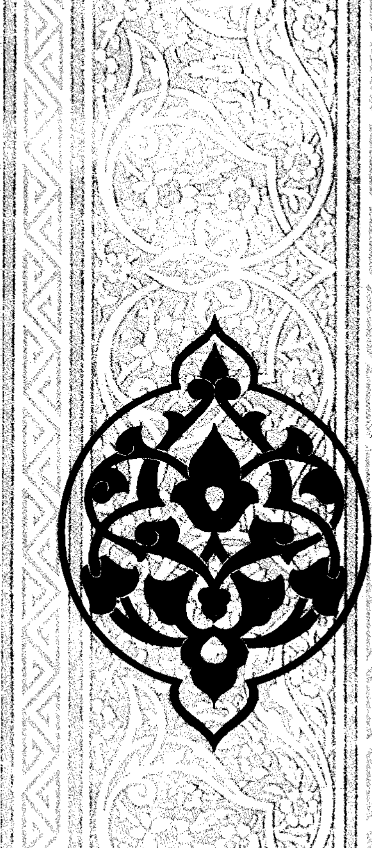
جُـرأَةٌ فِى الـحَقّ

لم يكنْ حُبُّه للمسالمة عن ضَعْف منه ، أو جُبن وخَوف فيه ، وإنما مسالمته كانت ابتغاء وجه الله – عَزَّ وَجَلَّ – ، ودفعاً للضَّرر الذى قد يلحق بالمسلمين ، فقد يهلك بسببه أُناس لا حول لهم ولا قوّة وبلا ذنب .

كانت مسالمته يَصُون بها كرامته بجدٍّ لا يعرف الهَزَل ، وبحمية هاشمية لا تعرف التردد .

قالوا عنها : « وتلك هى عزّة المؤمن التى يُحبُّها الله ورسوله ﷺ » .

★ ★ ★



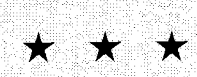
حِلْمُـهُ بالأَعْـدَاء

كان كثير الحلم على أصحابه وأعدائه ، فصبر على الذين يطالبونه بالقتال ، وظنّوا به الظنون ، فلم يبادلهم التّهمة ، بل كظم غيظه حتى اعتدى عليه معتد فصبر وفوّض أمره لله – عَزَّ وَجَلَّ – وظل على حلمه .

فلما مات ، وأخرجوا جنازته جاء مروان بن الحكم ليحمل سريره ، فقال له الحسين (رضى الله عنه) :

« تحمل جنازته ، وكنت بالأمس تجرعه الغيظ »[1] !

قال مروان : نعم ، أفعل ذلك بمن يوازى حِلْمَهُ الجبال .



عِـلْمٌ وَفِقْـه

كان رسول الله ﷺ قد ترك الحسن (رضى الله عنه) صغيراً ، فقد كان (رضى الله عنه) دون الثامنة ، لكنه كان شديد الذّكاء ، بحيث وعى وحدَّث ، وقد قام على تربيته وثقافته بعد جدّه ﷺ أبوه علىّ بن أبى طالب (رضى الله عنه) ، وكان بحراً فى العِلْم .

أخذ الحسن (رضى الله عنه) العلم بعدُ عن أبيه ، فكان المنبع الصّافى ، وكان علمه خالصاً حرص الحسن (رضى الله عنه) عليه ونفع به وقدره حتى لقد روى أنه كان يقول لبنيه : « تَعَلَّمُوا العلْم ، فإنْ لم تستطيعوا حفْظه فاكتُبوه ، وضَعُوه فى بيُوتكُم » ، وإن الذى يسمع خطبة له يجد أنها تدل على رسوخ علمه وقوّة حفظه وعمق فصاحته .



---

(١) أى : تتسبب فى إغاظته وإغضابه .

مِنْ رَوَائِع أَقوالِه

قال (رضى الله عنه) : حسن السؤال نصف العلم .

وقال (رضى الله عنه) : من بدأ بالكلام قبل السلام ، فلا تجيبوه .

وسُئل عن الصَّمْت ؟ فقال : هو سِرُّ العى [1] ، وزين العِرض ، وفاعله فى راحة ، وجليسه فى أمن .

وكان (رضى الله عنه) يقول : يا ابن آدم ! عف عن محارم الله تكن عابداً ، وارض بما قسم الله لك تكن غنيًّا ، وأحسن إلى جارك تكن مُسْلماً ، وصاحب النّاس بمثل ما تحب أن يصاحبوك به تكن عادلاً .

وكان (رضى الله عنه) يقول: لا أدب لمن لا عقل له ، ولا مودّة لمن لا همة له ، ولا حياء لمن لا دين له ، ورأس العقل معاشرة الناس بالجميل ، وبالعقل تُدْرك الداران جميعاً .

قال (رضى الله عنه) : هلاك النّاس فى ثلاث : فى الكِبْر ، والحِرْصُ ، والحَسَدُ : فالكِبْر هلاك الدين وبه لُعِن إبليس ، والحِرْصُ عدوّ النَّفس ، وبه أُخْرج آدم (عليه السلام) من الجنَّة ، والحَسَد رائد السوء ، ومنه قتل قابيل هابيل .

وقال (رضى الله عنه) : لا تأت رجلًا إلَّا أن ترجو نواله [2] ، أو تخاف يده ، أو تستفيد من علمه ، أو ترجو بركته ودعاءه ، أو تصل رحماً بينك وبينه .

---

(١) أى : المُتْعَب . (٢) أى : تجد عطاءَهُ قريباً .

وَفَـاتُـهُ

مرض الإمام الحسن (رضى الله عنه) ، واشتدت عليه العِلّة ، وهو يعرف سببها ، لكنه لم يتكلم ، ورضى بقضاء الله - عَزَّ وَجَلَّ - وقدره .

دخل عليه أخوه الحسين (رضى الله عنه) وهو يتوجع من آلامه الشديدة ، فسأله عن العِلّة لعله يبوح له بشيء .

فقال (رضى الله عنه) : سُقيت السُّمّ ثلاث مرات ، لم أُسْق مثل هذه المرّة .

قال الحسين (رضى الله عنه) : وَمَنْ سَقَاك يا أخى ؟

فقال (رضى الله عنه) : ما سؤالك عن هذا ؟ وما تريد إليه ؟ أتريد أن تقتله ؟

قال الحسين (رضى الله عنه) : نعم .

قال الحسن (رضى الله عنه) : لئن كان الذى أظن ، فالله أشد نقمة ، وإن كان غيره ؛ فلا أُريد أن يقتل برئ .

وذاع فى المدينة استشهاد الحسن (رضى الله عنه) ، فقد وافته المنيّة [1] وعلم أبو هريرة (رضى الله عنه) ، فأسرع إلى المسجد ، وقد غلبه البكاء لكنه صاح فى الناس : أيها الناس ! مات اليوم حِبُّ رسول الله ﷺ ، فابكوا ... وتجمع الناس يبكون الإمام ، ويذكرون مآثره ، ويعدون مناقبه .

---

(١) أى : توفّاه الله - عَزّ وَجَلّ - .

كانت الوفاة سنة خمسين من الهجرة فى ربيع الأول ، وهو يومئذ ابن سبع وأربعين سنة قضى منها سبع سنوات مع جدّه المصطفى ﷺ ، وثلاثون سنة مع أبيه (رضى الله عنه) ، وعشر سنين بعده .

وغَسَّلَهُ الحسين ومحمد والعباس بنو علىّ بن أبى طالب (رضى الله عنهم) ، وصلَّى عليه سعيد بن العاص (رضى الله عنه) ، وكان أميراً للمدينة من قِبَل معاوية ، قدمه الحسين (رضى الله عنه) للصلاة على أخيه وقال : « لولا أنها سُنَّة ما قدمتك » .

حاول الحسين (رضى الله عنه) أن يحقق وصيّة أخيه الحسن (رضى الله عنه) ، وأن يُدفَن بجوار جَدِّه رسول الله ﷺ فى بيت السيدة عائشة (رضى الله عنها) ، وكان الحسن (رضى الله عنه) قد سألها ذلك ، فأجابته إلى طلبه ، ولم تر مانعاً من ذلك ، ولكن مروان بن الحكم ومعه نفرٌ من بنى أُميّة تصدوا لذلك ، ومنعوا أن يُدْفَن الحسن (رضى الله عنه) مع جَدِّه .

فَدُفنَ الحسن (رضى الله عنه) فى (البَقِيع) بجوار قبر أُمِّه فاطمة الزَّهْرَاء (رضى الله عنها) .

رِثَـاءٌ وَبُكَاءٌ

قال الحسين (رضى الله عنه) : يرثى أخاه : رحمك الله يا أبا محمد أن كنت لناصراً للحقّ ، وتؤثر الله عند مداحض[1] الباطل فى مكان التقية بحسن الرّوية ،

(١) أى : تقدم أمر الله – عَزَّ وَجَلَّ – فى دفع الباطل .

وتستشف جليل معاظم الدنيا بعين حاذرة ، وتفيض عليها بيد طاهرة ، وتردع ما يريده أعداؤك بأسر المؤنة عليك ، وأنت من سلالة النّبوة ، ورضيع لبان الحكمة ، فإلى رَوْح وريحان وجنة نعيم ، وأعظم الله لنا ولكم الأجر عليه ، ووهب لنا ولكم السّلوة وحُسن الإساءة عليه - الإساءة هنا بمعنى الحزن - .

ورثاه محمد بن الحنفية وقد وقف على قبره وقال : لئن عزت حياتك ، لقد هدت وفاتك ، ولنعم الرّوح روْح تضمنه كفنك ، ولنعم الكفن تضمن بدنك ، وكيف لا تكون هكذا ، وأنت عقب الهدى، وخلف أهل التقوى وخامس أصحاب الكساء ، عزتك بالتقوى أكف الحق ، وأرضعتك ثدى الإيمان ، وربيت فى حجر الإسلام ، فطبت حيًا وميتاً ، وإن كانت أنفسنا غير سخية بفراقك ، رحمك الله أبا محمد ، ثم أنشد يقول :

أأدهن رأسى أم تطيب مجالسى
وخدك معفور وأنت سليب
أأشرب ماء المزن من غير مائة
وقد ضمن الأحشاء منك لهيب
سأبكيك ما ناحت حمامة أيكة
وما اخضر فى أرض الحجاز قضيب
غريب وأكناف الحجاز تحوطه
ألا كل مَنْ تحت التراب غريب

رحمه الله ورضى عنه .

★ ★ ★

وإلى اللقاء بمشيئة الله مع ..

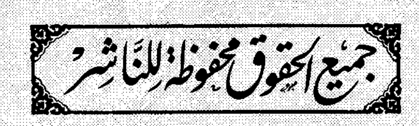
الحسين بن علي

سيد شباب أهل الجنة



دار الفضيلة
للنشر والتوزيع والتصدير

الإدارة: القاهرة - ٢٣ شارع محمد يوسف القاضي -
كلية البنات - مصر الجديدة - ت وفاكس: ٤١٨٩٦٦٥
المكتبة: ٧ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة - ت ٣٩٠٩٢٣١
الإمارات: دبي - ديرة - ص ب ١٥٧٦٥ ت ٦٩٤٩٦٨ فاكس ٦٢١٢٧٦



رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٧٣٠٧/ ١٩٩٦